

سمات القارئ الكفؤ بين الواقع والمأمول -مقاربة من منظور أنثروبولوجيا الكفاءة-

الأستاذ/ نور الدين جفال،

أستاذ محاضر قسم -أ-،

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،

جامعة العربي التبسي تبسة،

anthroponour@gmail.com

ملخص:

تعتبر القراءة من روافد العلم والمعرفة التي لا غنى عنها لأي مجتمع للمسير على خطى التطور، ولكنها اليوم بتأثير التغير الاجتماعي تكتسب طابعا جديدا، ولم يعد الأمر يقتصر على الدعاية للقراءة وفوائدها، وإنما أصبح يرتبط بمدى تحمل القارئ مسؤوليته نحو القراءة من حيث المستوى والمحتوى، لتحقيق كفاءة تجاري الثورة المعلوماتية وتنمية القدرات الفكرية والثقافية، لتنمية معرفية شاملة ومتكاملة مع مقروئية كفاءة تؤتي ثمارها الواقعي على مستوى الفرد القارئ خصوصا والمجتمع عموما.

الكلمات المفتاحية: القراءة، الكفاءة، استيعاب، القارئ، المهارات .

Abstract

The read from streams of science and knowledge that our days of walk on the pace of development, but on the impact of social change is a new character, it was no longer confined to advertising and its benefits, but is linked to how the reader responsibility towards reading level and content for efficient commercial information revolution and the intellectual and cultural capacity development, to develop a comprehensive and integrated knowledge.

Keywords: Reading, efficiency, absorb, reader, skills.

مقدمة:

لقد بقيت القراءة مدة طويلة وسيلة محدودة الأثر، مقصورة على عدد ضئيل من الناس، وذلك قبل أن يصنع الإنسان الورق، ثم بعد أن صنعه وقبل أن يخترع الطباعة، فلقد كانت الكتب تنسخ في أعداد قليلة، الأمر الذي جعل تكلفتها غالية تعز على جمهور الناس ولا يقدر عليها إلا قلة من الموسرين وبالإضافة إلى ذلك كان تداول الكتاب من مكان إلى آخر محدودا لصعوبة المواصلات، وتبدل الحال باختراع الطباعة إذ أصبح من المستطاع طبع الكتاب في مئات النسخ ثم في آلافها وأكثر من ذلك على ما هو معروف ومشاهد، فقلت تكلفة طبع الكتب، فأصبحت ميسرة لجمهور القارئ، كما أن تقدم طرق المواصلات

والاتصالات جعل نقل الكتاب وذيوعه في أطراف الأرض أمرا ميسورا في وقت قصير، وبنفقة قليلة¹.

I. القارئ بين الماضي والحاضر:

لا شك أن القراءة كانت متعة يستمتع بها أولئك السلف، كانت تراكمات هذه المتعة تصنع سعادة في دنياهم، وكأن نظرهم في الدنيا للكتاب غاية مأمولهم منها، وما سوى ذلك يمكن أن يفسر عشقهم للكتاب ودأبهم على القراءة، ليس ابن الجوزي هو الوحيد في هذه النظرة، أنها نظره أمه كانت سيدة الأمم، تجد في زعمائها كما تجده في عامته، فالمأمون كان ينام والدفاتر حول فراشه ينظر فيها متى انتبه من نومه وقبل أن ينام، أما أبو بكر الخياط فقد كان يقرأ في الطريق، وكان ربما سقط في جرف غير منتبه لما حوله، هذه الظاهرة العجيبة التي كانت سمة لأجدادنا، ظاهرة القراءة، غابت اليوم عن مجتمعاتنا، وربما غدت ظاهرة لمجتمعات أخرى، حالها أيام نهضتنا كحالنا اليوم، لا شك أن الشباب العرب المعاصرين يقرؤون كتب المدرسة والجامعة، وصحف الرياضة والإعلام، والشريط الإخباري في الفضائيات، وأحداث الساعة على صفحات الانترنت، بل حتى عوام الناس وبعض الأميين منهم يقرؤون كتاب الله عز وجل لا سيما في رمضان، وهذه كلها صور من القراءة، لكنها دون المرجو بكثير، إننا في عصر القراءة، وكل من لا يقرأ بشكل منهجي ومنظم هو اليوم على هامش العصر بل خارج هامش التاريخ.²

II. واقع القراءة في المجتمع:

من الصور الحضارية للمجتمعات المتقدمة أو المثقفة، هي كثرة إقبال أفرادها بمختلف مستوياتهم العلمية والفكرية والاجتماعية على القراءة، حتى أصبح الفرد منا يتصور بأن تلك المجتمعات مصابة بمرض نفسي نستطيع أن نطلق عليه مرض التعطش للقراءة، إن صح التعبير، وهو في الحقيقة ليس مرضا، وإنما هو حالة صحية قوته الدفاعية حب الاستطلاع والمعرفة عند الإنسان، فنجد الواحد منهم لا يبرح مكانه إلا وفي يده كتاب ما، مما ساعد على انتشار كتب الجيب بصورة كبيرة في تلك المجتمعات، هذه صورة بسيطة وموجزة لحالة المجتمعات المثقفة ولكن لو نظرنا إلى المجتمعات الأخرى، والتي تمثل صورة مغايرة لتلك، لرأينا أفرادها وعلى اختلاف مستوياتهم يقتلون أوقاتهم بأمور هامشية أو ثانوية، إن لم تكن مضررة بالإنسان والمجتمع والدين، إن الكثير من أبناء هذه المجتمعات لا

يعرفون مصطلح القراءة إلا قبل ساعات الامتحان ، وذلك من اجل الحصول على الشهادة العلمية.³

III. المفهوم اللغوي للقراءة والقارئ:

القارئ والمتقري والقراء كلّه الناسك مثل حسان وجمل وقول زيد بن تركي الزبيدي وفي الصحاح قال الفراء أنشدني أبو صدقة الديري بيضاء تصطاد الغوي وتستي ... بالحسن قلب المسلم القراء، القراء يكون من القراءة جمع قارئ ولا يكون من التنسك قوله « ولا يكون من التنسك » عبارة المحكم في غير نسخة ويكون من التنسك بدون لا وهو أحسن قال ابن بري صواب إنشاده بيضاء بالفتح لأن قبله، ولقد عجت لكاعب مؤذونة ... أطرافها بالحي والجناء، ومؤذونة ملينة ودنوه أي رطبوه وجمع القراء قراؤون وقرائ.⁴ قرأ الكتاب قراءة قرأنا بالضم وقرأ لا شيء قرأنا بالضم أيضا جمعه وضمه ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها وقوله تعالى {إن علينا جمعه وقرآنه} أي قراءته وفلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى وجمع القارئ قراءة مثل كافر وكفرة والقراء بالضم والمد المتنسك وقد يكون جمع قارئ.⁵

IV. مفهوم الاصطلاحي للقراءة:

إن القراءة في رأي الكثير من المفكرين عملية عقلية تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه، وتتطلب الربط بين الخبرة الشخصية ومعاني هذه الرموز، ومن هنا كانت العمليات النفسية المرتبطة بالقراءة معقدة بدرجة كبيرة وتتم القراءة عبر مرحلتين، فالأولى وتعرف بالاستجابات الفسيولوجية لما هو مكتوب والثانية تعرف بالاستجابات العقلية والتي يتم خلالها تفسير المعنى من خلال أدوات التفكير كالفهم والتحليل والاستنتاج، فالقراءة إذا عملية فهم واستجابة وهي في الغالب معقدة وليست بالأمر البسيط.⁶

V. أهمية القراءة:

للقراءة عموما أهمية بالغة فهي تحقق التواصل بين أفراد المجتمع الواحد من خلال الوقوف على أفكار الآخرين واتجاهاته، ويتعرف الأفراد من خلالها على التراث الثقافي للمجتمع بما يحافظ على وحدة المجتمع وتقارب المجتمع وهي وسيلة لاتصال المجتمعات بعضها مع بعض، وهي تعمل على تنمية الأفراد، وتزويدهم بالمعارف البشرية لمسيرة التقدم

العالمي بالإضافة أنها تساعد القراءة على رفع مستوى المعيشة، والارتقاء إلى الأحسن في استغلال المعلومات وتوظيفها بما يخدم مصلحة الفرد خاصة والمجتمع عامة.⁷

VI. المهارات اللازمة للقراءة:

إن التنمية البشرية غنية جدا بالكتب المختصة في كل مجالات سواء كان ذلك في التفكير الايجابي أو في تقوية الذاكرة والتركيز أو التحكم في الأحاسيس السلبية أو في العلاقات أو تقوية التقدير الذاتي والصورة الذاتية والثقة في النفس وغيرها من المجالات المختلفة أن القراءة تساعد في عملية النمو الايجابي والتقدم المتزن وتجدد في التفكير والسلوك.⁸ يرى "أحمد كامل" أن أداء عملية القراءة تتدخل فيها حواس الفرد وقدراته وخبراته ومعارفه وذكائه، ومجموعة أخرى من القدرات التي ينبغي توافرها لدى القارئ ليتمكن من القراءة الجيدة ومنها:⁹

- القدرة على النظر إلى الكلمات المكتوبة وإدراك النقاط الأولية المهمة في الموضوع،
- القدرة على إدراك المعنى العام للمادة المقروءة،
- القدرة على ترتيب وتنظيم المادة المقروءة،
- القدرة على القراءة مع التنبؤ بالنتائج،
- القدرة على التمييز بين أجزاء وفصول وتعريفات المادة المقروءة،
- القدرة على نقد وتمحيص المادة المقروءة.

VII. أصناف القراءة:¹⁰

- القراءة الاكتشافية أو التصحفية،
 - القراءة السريعة،
 - القراءة الانتقائية،
 - القراءة التحليلية أو النقدية.
- ويمكن تحسين القراءة عن طريق:¹¹
- تحديد الأولويات،
 - الانتباه أثناء القراءة،

- فهم ما تقرأ،
- توفير البيئة المناسبة للقراءة،
- استخدام الأسلوب الأمثل للقراءة وتشمل (المسح، الفحص، القراءة، الاسترجاع، المراجعة).

VIII. الاستثمار بالكفاءة ما قبل القراءة:

إن الاستفادة من القراءة تتوقف على مدى وكيفية استثمار أهدافها، حيث يرى "مبارك عامر بقنه" أن القراءة بالكفاءة والفعالة تبدأ قبل القراءة، فالقارئ الجيد يحدد هدفه من القراءة، فقبل كيف تقرأ، أسأل: لماذا أقرأ؟ ما الهدف من وراء قراءتي؟ وقد حدد خبراء القراءة ستة أهداف رئيسة للقراءة لا يكاد القارئ يخرج عن هذه الأهداف:¹²

- أ. لفهم رسالة محددة،
- ب. لإيجاد تفاصيل هامة،
- ج. للرد على سؤال محدد،
- د. لتقييم ما تقرأ،
- هـ. لتطبيق ما تقرأ،
- و. للتسلية والمتعة

ولتحقيق القراءة بالكفاءة والفعالة يجب توفير ما يلي:¹³

01. معرفة الهدف ووضوحه في الذهن أمر أساسي وضروري لعلمية الاستيعاب والفهم، فحدد هدفك قبل القراءة، فإذا كان هدفك أن تقرأ من أجل القراءة فقط، فأجهد نفسك قليلاً لتخرج بسبب أفضل، فالقراءة مع هدف محدد هو بأهمية فهم ما تقرأ، وفي قراءة الكتب الشرعية يجب أن يكون هدفك مرضاة الله عز وجل، فلا تقرأ العلم الشرعي من أجل تماري به السفهاء أو تكاثر به العلماء أو تريد أن تصرف به وجوه الناس إليك فإن ذلك يقودك إلى النار عياداً بالله من ذلك،
02. حدد المكان الذي سوف تقرأ فيه الكتاب، ويشترط في المكان أن يكون خالياً من الملهيات والصواري التي تعيقك أو تقطع عليك تركيزك خلال القراءة، وكذلك لا بد أن يكون المكان بعيداً عن الضوضاء والإزعاج فالقراءة نشاط فردي تتطلب هدوءاً لزيادة درجة الاستيعاب، فاختر المكان الهادئ، على أن تكون إضاءة المكان صحية،

واجعل كل ما تحتاج إليه من أدوات أساسية كالأقلام والأوراق والملفات في هذا المكان قريبة من متناول يدك، فكثير من الوقت يضيع في البحث عن الأساسيات التي تحتاجها مما يسبب إزعاجاً وإرباكاً. وأفضل مكان للقراءة هو المنزل فخصص مكان فيه للقراءة، وبإمكانك أن تقرأ في أماكن أخرى هادئة كالمكتبة مثلاً إلا إن هناك قيوداً تجعل القراءة في هذه الأماكن صعبة فالمكتبة تغلق الساعة التاسعة وأنت لا زلت تشعر بنشاط ورغبة في القراءة، وتفتح في وقت متأخر، بالإضافة أنها قد تكون بعيدة عن المنزل مما يعني ضياع كثير من الوقت في الذهاب والإياب، كما أن القراءة في المنزل لها أثر سلوكي تربوي ينعكس على الأبناء في حب القراءة.

03. حدد طريقة قرأتك مع الكتاب فهل ستكون قراءتك متقيدة بالزمن أم بالكمية، وأعني بالزمن هل ستقرأ مثلاً نصف ساعة من الكتاب يومياً بصرف النظر عن كم قرأت من الكتاب، ففي هذه الحالة يكون الاهتمام بالوقت، أم أن قراءتك تهتم بالمقدار، فمثلاً تقرأ عشرين صفحة يومياً. مهما أخذت من وقت. فالاهتمام للكمية وليس للوقت. أم أنك ستقرأ خلال يومين أو ثلاثة قراءة مستمرة دون انقطاع، يجب في البداية أن تحدد طريقة تعاملك مع الكتاب لكي تحدد زمن الانتهاء وتستطيع تقييم نفسك هل أنت منضبط بوقتك أم لا؟ وهل أنت قارئ جيد أم لا؟

04. اقتن الكتاب الذي يحقق لك هدفك، فمثلاً لو أردت أن تقرأ عن العولمة فإنك ستجد كتب كثيرة تناولت موضوع العولمة بطرق مختلفة. يجب أن تكون أكثر تحديداً، ماذا تريد عن العولمة؟ هل تريد فقط معرفة عامة لمعنى العولمة دون الدخول في الجزئيات والتحليلات الدقيقة؟ فهنا يكفيك كتاب مختصر تقرأ فيه الخطوط العريضة عن العولمة. أما أنك تريد التوسع في معرفة العولمة ودراستها دراسة تحليلية ومعرفة مطلقاتها وأهدافها وآثارها على العالم برمته. فهنا لابد أن تبحث كتاب شامل واسع؛ بل أحياناً يتطلب الأمر أكثر من كتاب لتحقيق الهدف، فكن متقناً في اختيار الكتاب. وكما يراعى في اختيار الكتاب أن يكون متوافقاً مع مستواك المعرفي أو أن يكون لديك القدرة في استيعاب ما فيه.

05. قبل شراء الكتاب اجعل لك عادة أن تقرأ فهرس الكتاب ومقدمته والخاتمة وما كتب خلف الكتاب ومقتطفات سريعة ومختصرة من ثنايا الكتاب. فهذه القراءة لهذه

المواقع تبين لك: هل أنت بحاجة لشراء هذا الكتاب؟ وهل الكتاب يحقق هدفك؟، وتبين لك أيضاً . من خلال هذه النظرة السريعة . جودة قلم الكاتب. فإن الكتاب الجيد المتقن السبك له أثر كبير على الارتقاء بالمستوى الفكري والبلاغي القارئ، بالإضافة ما يشكله من أثر عميق في ثبات أو تغير أو تزعزع قناعات القارئ، لهذا احرص دائماً باقتناء الكتاب الرصين في عباراته، المحكم في معانيه، ويعرف الكتاب القيم: بسلامة عقيدة مؤلفه، فالكاتب لا يكاد يخرج عن معتقداته وتصورات، وكذلك عن طريق معرفة الكاتب وعلاقته بالموضوع فهل هو متخصص فيما كتب أم متطفل، وكذلك عن طريق استشارة أهل التخصص عن الكتاب وعن أفضل ما كتب في مجال تخصصهم. فإن هذا يعينك على تجاوز كثير من الوقت والجهد.

06. حدد جدول زمني ثابت للقراءة، وإن كان القارئ الجيد يقرأ في كل وقت؛ ولكن لوجود أعمال أخرى ضرورية في حياتنا فإننا بحاجة شديدة إلى تحديد وقت زمني يومي ثابت للقراءة، واجعل هذا الوقت المخصص للقراءة في الفترة التي تقل أو تنعدم فيها المقاطعات والصوارف، على أن يعلم جميع أفراد أسرتك وأصدقائك بهذا الوقت المخصص للقراءة كي يعينوك في الاستمرار،

07. لا تذهب إلى القراءة وأنت في حالة عصبية منفعة، أو تشعر بالضغط النفسي والإكراه فإن عملية الاستيعاب تعتمد بدرجة عالية على مقدار حضورك الذهني، احرص دائماً أن تقرأ وأنت بشوق ومحبة للقراءة، فقراءة الراغب المحب ليست كقراءة المكروه المضطر، اجعل عقلك ومشاعرك وعواطفك تدفعك إلى القراءة، انطلق إلى القراءة بكل لا ببعضك لكي لا يتشتت ذهنك وتضيع وقتك. وقد حذر أسلافنا من القراءة في حالات انشغال البال، فيقول الكنانني رحمه الله: "ولا يدرس في وقت جوعه أو عطشه أو همه أو غضبه أو نعاسه أو قلقه، ولا في حال برده المؤلم، وحره المزعج، فربما أجاب أو أفق بغير الصواب، ولأنه لا يتمكن مع ذلك من استيفاء النظر" فالقراءة نشاط ذهني يشترط فيها هدوء الذهن واستقراره كي يفهم ما يقرأ، **08.** فكر كثيراً في الكتاب، وحاول دائماً أن تحدث نفسك عن قراءة الكتاب الذي اخترته، وأنك سوف تنهيه في الوقت المحدد، حدّث نفسك أنك لن تجعل أحد يعوقك عن المضي في مشروعك هذا، اجعل الدافع ينبعث من ذاتك لكي يكون أداك أكثر إبداعاً.

ومما ينبغي ذكره، ويجمل العمل به هو الاستعانة بالله عز وجل ودعائه في قراءة هذا الكتاب والاستفادة منه، فالاعتماد على الله عز وجل من أقوى الطرق في تحقيق ما تصبو إليه مع سلوك ما أمر الله به من اخذ الأسباب الصحيحة لتحقيق ما تريد.

IX. قواعد ومعايير القراءة بالكفاءة:

يرى "أحمد بن عبد الرحمن الصويان" أن الواجب على القارئ أن يرسم لنفسه منهجية واضحة للقراءة ويبني قاعدتين مهمتين هما:¹⁴

01. بناء القاعدة العلمية:

إن ترتيب الأولويات من أهم المسائل التي تعين المرء على النجاح بشكل عام، ويتأكد ذلك في أولويات القراءة، وقديماً قال أبو عبيدة: (من شغل نفسه بغير المهم أضرب بالمهم)¹⁵ وكم أحزن على ذلك الشاب الذي لم يستقم عوده، ولم يشتد ساعده، ثم أراه يلقي بنفسه في بحر متلاطم الأمواج كيف يبحر فيه؟! وقد رأينا شباباً لم يقرؤوا بعد (كتاب الأربعين النووية)، ثم تراهم يعزمون على قراءة (فتح الباري!) وأشباهه من كتب العلم. وجميل أن توجد هذه الهمة، لكن أحسب أن مآل هؤلاء في النهاية إذا لم يتداركهم الله بفضله: الشعور بالإحباط والعجز، ثم الملل والسآمة، لأنهم لم ينموا نمواً طبيعياً يتدرجون فيه في درجات العلم بتدرج فهمهم وبصائرهم، ونظير ذلك من يبدأ بقراءة ما يسمى بـ(الكتب الفكرية) المتقدمة، دون أن تكون له حصيلة شرعية يميز فيها بين الغث والسمين، ودون أن يبدأ بالكتب الفكرية الميسرة التي تكمل بناءه العلمي والثقافي، والواجب أن يحرص القارئ في بداية الطلب على بناء القاعدة العلمية التي يبني فيها مداركه العقلية وملكاته العلمية بناءً راسخاً متيناً، وبناء القاعدة العلمية يتطلب من القارئ جهداً كبيراً؛ فهو يأخذ من كل فرع من فروع العلم الرئيسة كتاباً أصيلاً يدرسه دراسة تفصيلية، ولا ينتقل منه إلى كتاب آخر إلا بعد أن يتقن أبوابه، ويعرف قواعده وفنونه، ثم إذا قرأ كتاباً آخر في الفرع نفسه كان كالبناء على تلك القاعدة والأساس، والقدرة على اختيار الكتاب المناسب لها دور بارز في اختصار المسافات في طريق القارئ الطويل، وكم من قارئ قد ضلَّ الطريق وحرَم الوصول، لأنه أراد أن يصعد السطح بلا سلم، أو أراد أن يبني داره على أرض هشة غير مستقرة، ومن المفيد هنا التأكيد على أهمية استشارة أهل الاختصاص وأصحاب الخبرة لمعاونة القارئ المبتدئ في ترشيح الكتب المناسبة له، وقديماً سئل (فولتير) عن سيقود الجنس البشري؟ فأجاب: (الذين يعرفون كيف يقرؤون).¹⁶

ومن اللطائف العجيبة أن ابن الجوزي كان يتكلم عن ضرورة ترتيب الأولويات لطالب العلم، ثم يقول: (قد علم قصر العمر وكثرة العلم، فيبتدئ بالقرآن وحفظه، وينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفى عليه بذلك منه شيء، وإن صحَّ له قراءة القراءات السبعة، وأشياء من النحو وكتب اللغة، وابتدأ بأصول الحديث من حيث النقل كالصحيح والمساند والسنن، ومن حيث علم الحديث كعرفة الضعفاء والأسماء، فلينظر في أصول ذلك)¹⁷ ثم ساق ابن الجوزي علوماً يبدأ بها طالب العلم في عصره، قد يعجز عنها بعض المنتسبين إلى العلماء في عصرنا.

02. بناء القاعدة الفكرية:

هنا معضلة يقع فيها كثير من القراء، وهي أنه في أثناء القراءة لا يحرص على بناء فكره، وإحياء قدراته العقلية ولا يستحثها للنظر والتأمل، وإنما يقع أسيراً ينتظر التلقين من المؤلف، ويقف دائماً موقف المتلقي، ومثل هذا وإن حصل كمّاً من المعلومات فإنه ليس قارئاً جيداً؛ لأنه لا يملك البصيرة ولا القدرة على التمييز والموازنة بين اجتهادات العلماء والمفكرين. (فالتفكير هو الذي يجعل ما نقرؤه ملكاً لنا،)¹⁸ ونظير ذلك من يعتني بالحفظ وحده، ولا يلتفت إلى الفهم. والحفظ على الرغم من أهميته وضرورته؛ فإنه لا ينبغي الاكتفاء به، بل يجب تسخير لخدمة الفقه والفهم، وقديماً عتب الإمام أحمد على بعض المحدثين بقوله: (ما أقل الفقه في أصحاب الحديث)،¹⁹ ومن لطائف الأخبار في هذا الباب ما ذكره إسحاق بن راهويه حيث قال: (كنت أجالس بالعراق أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأصحابنا، فكنا نتذاكر الحديث من طريق وطريقين وثلاثة، فيقول يحيى بن معين من بينهم: وطريق كذا. فأقول: أليس قد صح هذا بإجماع منا؟ فيقولون نعم فأقول: ما مراده؟ ما تفسيره؟ ما فقهه؟ فيقفون كلهم إلا أحمد بن حنبل،)²⁰ فإن بناء القاعدة الفكرية للقارئ من أشق المهمات التي تواجه القارئ الجاد؛ فليس كل كتاب يمكن أن يبني فكر الإنسان، حتى بعض الكتب المفيدة التي قد يستفيد منها القارئ مادة علمية قد لا يخدم ذلك البناء؛ وما أحسن قول الإمام ابن القيم: (الفكر هو الذي ينقل من موت الفطنة إلى حياة اليقظة)،²¹ وهنا يأتي دور المعلمين والمربين في توجيه طلابهم والأخذ بأيديهم في الطريق القويم، وقديماً كان بعض العلماء يربي فكر الطالب ببعض مسائل الحساب والفرائض، ويحاوره بعويص المسائل، وهذا منهج نبوي أصيل في التربية والتعليم، فهي هو ذا رسول الله صلى الله عليه

وسلم يسأل أصحابه: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟)²² وبهذا يتبين أن القراءة الجادة هي قراءة التفهم والبصيرة والإدراك، ونعمة الفهم من أجل النعم التي ينعم الله تعالى بها على العبد، و (رُبَّ شخص يفهم من النص حكماً أو حكمين، ويفهم منه الآخر مائة أو مئتين).²³

وكم جرّ سوء الفهم على صاحبه من الخلل والاضطراب؛ وما أحسن قول الإمام ابن القيم: (ما أكثر ما ينقل الناس المذاهب الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة).²⁴ ويرى الأستاذ "جودت سعيد" أن الذكاء ليس أسعى من القراءة، وأن القراءة هي التي تقعد الأقدام على رقاب العمالقة، ويشير إلى شهيد العلم الجاحظ الذي سماه شهيد الكتاب والقراءة، الذي مات تحت كتبه كأنموذج لحرص الأمة الناجحة على القراءة والعلم، يؤكد المؤلف على قضية مهمة يفقدها الشباب والقارئ في هذه الأيام ألا وهي الكرازة من كتب وكتاب والتضييق على النفس في القراءة لنوع محدد من الكتب وعدد محدد من الكتاب. يقول: (وإن القراءة المحدودة الضحلة المرعوبة لا تخلص من التقليد والآبائية)²⁵ ومما ساق: (إن كون النبي صلى الله عليه وسلم أمياً معناه أن أحداً من البشر لن يأتي بشيء وهو أمي)²⁶ لقد نعى على الأمة إهمالها للقراءة وقال: (إن الأمي غير قابل أن يبلغ الرشد، وإن صلة الإنسان بالكتاب تغير من سحنة الإنسان وتؤثر في عضلاته وسمات وجهه)²⁷ وأحياناً يغالي في أهمية القراءة بما يتجاوز المدى،²⁸ ثم أنهى باللائمة على سذاجة المسلمين في تحرير المفاهيم فبدلاً من أن يفهموا سر [ن* والقلم وما يسطرون] بدل تعظيم القراءة والمعرفة تحول الأمر إلى جمع قصاصات الأوراق من الطرقات،²⁹ الكتاب في مجمله من الكتب التي تستحق القراءة والتمعن وهو يحتاج إلى مزيد من الرد والتحقيق في كثير مما كتب، وبعض أفكاره جديرة بالنشر والتأييد، إنه يصدر في زمن شكا فيه المؤلف من عدم وجود الكاتب الذي يبعث بهم القراءة أي لم يأت بعد ورثة الأنبياء بجدارة.³⁰

X. القاري بين النص الأدبي والعلمي:

إن التغيير الهائل بالنظر إلى كل الوسائط المعرفية وكل المناهج الأدبية والنقدية واللغوية، لقد كان للنقاد والفلاسفة دور خطير في تطوير ذلك، وقد صار ينظر اليوم على نحو متزايد إلى أن النص أشبه بحدث مؤجل التحقق، وخارج دائرة الانجاز، ما لم تتم قراءته وتأويلاته ضمن الإمكانيات التي يتيحها النص للقارئ الناقد و القارئ العادي، وصار يعتقد أن جمالية التجاوب لن تحقق ما لم يكن هناك فجوة بين ما يعرفه القارئ وبين ما

يفاجئه به النص من انزياح عن خبرته، وعن الخبرات السائدة، بل وعن قدراتها الناجزة على الفهم، إن النص الجيد هو النص الذي يشمل على فراغات معرفية، وملء هذه الفراغات من الآن فصاعدا صار من مهمة القاري الجيد، وحين يشرع القاري في سدها تبدأ رحلة التواصل بينه وبين الكاتب، لقد أعطى النقد الحديث اعتبارا اكبر لوضعية الثقافية للكاتب، لما قبل الكتابة واللاشعور بل وللنوايا المستترة، وبهذا كله تم إلى حد ما تهميش دور اللغة في التوصيل، إلى جانب زيادة على القارئ وتعاظم ما عليه إنجازه في فعل القراءة، لا يعني كل هذا أن مسؤولية القارئ ذات قدر واحد، مهما تكن المادة التي يقرأها فستظل القراءة في الكتب العلمية أسهل، وستكون مسؤوليات القارئ اقل، وستظل القراءة في الكتب التي تتناول مسائل فلسفية وأدبية اشق، وسيكون ما يطلب من قارئها من فعالية أكثر.³¹

XI. سيكولوجية القارئ اتجاه المادة المقروءة:

يوضح الدكتور "احمد محمد المعتوق" أن أسلوب القراءة يختلف من شخص إلى آخر، وهذا الاختلاف يعود في الغالب إلى مستوي القارئ وثقافته وطبيعته مزاجه وعاداته والوقت المتاح له والهدف الذي يقصده من القراءة، كما يعود إلى طبيعة هذا القارئ وتكوينه ومدى وعيه وإدراكه، فهناك من يقرأ وقصده مما يقرأ معرفة محتوى النموذج المقروء والإحاطة بما يتضمن هذا النموذج من معان وأفكار أو معلومات جديدة، دون الاهتمام بالشكل، ودون التفات إلى نوعية وطريقة نظم القوالب التي أدت ونقلت تلك المعاني والأفكار أو المعلومات، وعدم التفات هذا القارئ للألفاظ وشكلها، وعدم تذوقه لها ولصياغتها وإيقاعات أصواتها تجعل نسبة العالق منها في ذهنه والمستقر منها في ذاكرته قليلا، وهناك من جانب آخر من يقرأ كحاطب ليل أو جامع لزبد البحر، يمر بموضوعه عجلا عابرا، إما لضيق وقته أو لعادة في القراءة ألفها، أو لعدم اكتراث بما يقرأ، وبذلك فلا يعلق في ذهنه من المعاني والألفاظ والأفكار إلا ما كان متكررا أو طافيا على السطح، كما أن هناك من يقرأ متعثرا ضجرا متمللا، إما لضحالة ثقافته، أو لعدم وجود حافز يدفعه أو يشده إلى موضوعه وإحساسه بأنه كالمجبر على قراءة ما يقرأ، ومثل هذا القارئ لا يستفيد إلا على قدر ما يستوعب ويهضم من أفكار ومعان، وما عسى أن يعلق في ذهنه من الألفاظ والتراكيب المعبرة عنها وهو لا يعدو أن يكون قليلا ضحلا في الغالب، والألفاظ والتراكيب تسحب بمعانيها إلى ذاكرته في بطاء وفتور، ومن جهة أخرى نجد أن هناك من يقرأ بأناة

وحرص متتبع المعاني والأفكار، ومتذوقا في الوقت نفسه التراكيب والألفاظ والصيغ التي تنقل هذه المعاني وهذه الأفكار أو تعبر عنها، يتحسس الكلمة الرقيقة والصوت الجميل والعبارة الموحية والتركيب الأنيق واللفظ الجزل، يرددها على لسانه أو في ذهنه ويتصورها في مخيلته، يقارن بينها وبين ما تعبر عنه وتوحي به وتشير إليه وينظر إليها وكأنه يلمسها بعينه، ويسمع نبرات أصواتها بأذنيه، وبذلك يعلق في فكره ويثبت في ذاكرته قسط واف منها.³²

XII. أنماط القراءة:

ويوضح الدكتور "مصطفى ناصف" أنه لا بد أن نتمعن في أنماط القراءة وأنماط القراءة، فكثير من الناس لا يقرؤون شيئا واحدا أكثر من مرة، فإذا عرضت عليهم كتابا كان الجواب المتبادر: لقد قرأت هذا من قبل، كيف إذن يفكر في إعادة قرأته، وكثير من الناس يكتفون بقراءة واحدة، وهم يعاملون الكتاب بطريق خاصة، مثل الكتاب عندهم مثل عود الثقاب يشتعل مرة واحدة، أو مثل تذكرة القطار تستعمل مرة واحدة، ولكن قليل من الناس يقرؤون الكتاب مرات متعددة في حياتهم، كثير من الناس يقرؤون مضطرين، لكن قليلا من الناس يقرؤون قراءة مصغية نشيطة متأنية، وقد يشعرون إذا لم تتح لهم هذه القراءة أنهم فقراء، تراه في بعض الأحوال يقرؤون قراءة محب أو قراءة متدين أو محروم، هؤلاء تغير القراءة عقولهم وأشخاصهم ولكن معظم الناس في مجتمعاتنا لا يكادون يتأثرون بما يقرؤون، قلة قليلة تستمتع بما تقرأ، وتستمتع بتذكره، وقد نردد بعض فقراته إذا خلونا إلى أنفسنا، وقد يحلو لنا أيضا أن نتحدث إلى الآخرين عما قرأنا، لكن معظم الذين يدرسون في المدارس والجامعات نادرا ما يفعلون، إذا تحدثوا عن الكتاب كان حديثهم خلوا من الحماسة، أنهم يهتمون الآخرين بالسرف في العناية، لا يزال الكتاب عند جمهور كبير من الناس هامشيا، وبعبارة بسيطة هناك اتجاهات مختلفة من الكتاب والقراءة، لقد قل الاهتمام بتجربة القراءة ذاتها.³³

XIII. مستويات استيعاب القارئ:

إن القارئ العبقري يقرأ ويهضم ويفكر ويجرب ليستخلص شيئا جديدا يضيفه إلى تراثنا وحضارتنا ويعمل تغيير حياتنا وتكييفها، وكلما أكثر من هذه القراءة المركزة المنظمة كلما وجد نفسه يقترب من هدفه فيزداد تفكيراً، وأثناء حرارة التفكير والانغماس فيه بعقله

وكل حواسه تنقذ في ذهنه الأفكار المهمة فيزداد محصول العقلي ويزداد هو استحواذاً على العالم الخارجي وإدماجاً له في حياته العقلية.³⁴

ويوضح كل من الدكتور "أحمد فلاح" والدكتورة "شادية أحمد التل" أن الاستيعاب القرائي عملية عقلية إدراكية تفاعلية بين القارئ والنص، بحيث تمكن هذه العملية القراء من فهم النص المكتوب بسهولة ويسر.³⁵

ويتضمن الاستيعاب القرائي عدداً من المستويات، تتبع تسلسلاً هرمياً، إذ يعتمد الاستيعاب في المستويات العليا على نجاح القارئ في استيعاب المستويات الدنيا، وقد اختلف الباحثون في تصنيف الاستيعاب القرائي من حيث عدد مستوياته ومسمياتها، إلا أنه يمكن ملاحظة وجود تشابه كبير بين هذه التصنيفات والمهارات والمتضمنة في مستوياتها المختلفة منها:³⁶

01. المستوى الحرفي: ويشير إلى قدرة القارئ على استيعاب النص المقروء بشكل عام،
02. المستوى التفسيري: ويشير إلى قدرة القارئ على التعرف إلى ما يقصده الكاتب بغض النظر عما يقول،
03. المستوى التطبيقي: ويشير إلى تمثيل القارئ للأفكار التي يتضمنها النص، والقدرة على توظيفها.

XIV. الاستثمار بالكفاءة ما بعد القراءة:

يوضح "مبارك عامر بقنه" أن القراءة بالكفاءة والفعالية تستمر إلى ما بعد القراءة، فالقارئ الجيد عند انتهاءه من قراءة الكتاب لا يعني إنهاء العلاقة بالكتاب، فلتثبيت المعلومات يتطلب الأمر مراجعة ما قرأت، ولكن قبل المراجعة يجب أن يجيب على هذه الأسئلة:

- ما المواضيع التي احتاج إلى مراجعتها؟
 - كم من الوقت احتاج لمراجعة كل موضوع؟
 - ما أماكن القوة والضعف لدي؟
- فخلال مراجعتك لا بد أن تجاوب على جميع الأسئلة التي دونتها خلال قراءتك، فلا تعني المراجعة إعادة القراءة بشكل سريع على أمل أن تستعيد ذاكرتك كل المعلومات؛ بل هي أكثر من مجرد القراءة فهي تتطلب الكتابة، والتحدث، والنقاش، وتحليل الأفكار المتعلقة

بالموضوع؛ بل أحياناً يتطلب الأمر إعادة قراءة فصول كاملة كي تفهم ما قرأت بشكل واضح، والمراجعة أحياناً تتطلب وجود شخص يناقشك، فالمناقشة طريقة قوية لتحسين مستوى التعليم والتذكر، يقول النووي -رحمه الله-: "فإن بالمذاكرة يثبت المحفوظ ويتحرر ويتأكد ويتقرر ويزداد بحسب كثرة المذاكرة، ومذاكرة حاذق في الفن ساعة انفع من المطالعة والحفظ ساعات بل أيام" وإن لم تجد أحداً تراجع معه فليس هناك خيار أن تراجع لوحده، قال الكناني -رحمه الله-: "فإن لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه وكرر ما سمعه ولفظه على قلبه ليعلق ذلك على خاطره فإن تكرار المعنى على القلب كتكرار اللفظ على اللسان سواء بسواء وقل أن يفلح من يقتصر على الفكر والتعقل بحضرة الشيخ خاصة ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده." وطرداً للملل قسّم الموضوع إلى وحدات على أن تكون المراجعة في وقت نشاطك الذهني، وعند انتهاءك من المراجعة لا يعني قطع الصلة بالكتاب؛ بل لا بد من إعادة المراجعة بعد أسبوع تقريباً وقد يتطلب الأمر مراجعة الكتاب عدة مرات فيعتمد ذلك على مقدرة ذاكرتك وعلاقتك بالموضوع.³⁷

من المسلم به أن تراث الإنسانية هو المصدر لكل ما نعرف، ويتمثل هذا التراث في ملايين المكتب والدوريات والصحف والأفلام وغيرها من وغيرها من وسائل الاتصال العديدة.³⁸ إن الكلمة المكتوبة والمقروءة ومنقولة هي جوهر المعلومات، وتبادل المعلومات بين الأفراد قديماً، قدم الإنسان نفسه، وقد عرفت المجتمعات الإنسانية مراحل لتطور المعلومات ميزت كل منها ثورة حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية، فمن بداية وضع اللغة إلى اكتشاف الكتابة إلى اختراع المطبعة وأخير المواصلات والاتصالات، إن الكتب مهمة للمجتمع من وجوه عدة، فهي الوسط الرئيسي الذي يمكن منتجي المعرفة من توصيلها إلى أولئك الذين يحتاجونها مع غيرها من المعلومات بالإضافة بطبيعة الحال إلى الوسائل الأخرى.³⁹

الخاتمة:

تشهد اليوم المقروئية للكتاب في المجتمع ضموراً واسع النطاق، ربما للواقع المتسارع في إنتاج المعلومة وتجدها، أو ربما مزاحمة للكتاب الإلكتروني للكتاب الورقي، مما أدى إلى سهولة اقتناء للكتاب دون الذهاب للمكتبة والعناء البحث عن الكتاب، مما يجعل سيكولوجية القارئ مطمئنة للحاجة للقراءة، فهو يقرأ متى شاء ذلك، وربما طغيان أو الإدمان مشاهدة السمعي البصري، حيث أصبحت لهذه الظاهرة حصة الأسد من وقت

الفرد في المجتمع حتى أهمل أمور العادة، فما بالك بقراءة الكتاب، ولا ربما أعتبر من طرف البعض مضيعة للوقت، إلا إذا تطلبت الحاجة لذلك، فالقارئ الكفؤ هو الذي يحسن الاستفادة من وقته، ويتقن استغلال ما يقرأه فيكون قد أسهم في تنمية قدراته الشخصية والعلمية خصوصاً والتنمية الاجتماعية عموماً.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم الفقي، قوة التفكير، مصر، 2008م.
- أحمد بن عبد الرحمن الصويان، وقفات من آفات القراء، المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، العدد 149.
- احمد فلاح، أثر الغرض من القراءة في الاستيعاب القرائي، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، المجلد 26 العدد الثالث، 2010م.
- احمد كامل سليمان، خمسة أسباب لمهارات الاتصال، موسوعة الالكترونية الإدارة والتطوير والتربية.
- احمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة، الكويت، 1996م.
- احمد محمد سعيد السعدي، القراءة الكنز المفقود في حياتنا، دار الرواد للنشر.
- جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم ، أيمن نويلاتي، 1988م، ط1.
- رجب البنا، لماذا نقرأ، دار المعارف، القاهرة، ط2.
- طارق محمود عباس، مستقبل المكتبات المدرسية والعامة في ظل العولمة الالكترونية، مركز الأصيل، مصر 2003م، ط1.
- عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة مفاهيم واليات، دار القلم، دمشق، 2008م، ط6.
- مبارك عامر بقنه ، كيف تستوعب ما تقرأ، أرشيف ملتقى أهل الحديث <http://www.ahlalhdeth.com>
- مبروكة عمر، المعلومات والبحث العلمي والتأهيل والتكوين، عصي للنشر والتوزيع، 1996 م، ص 116
- محمد ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 6 ، ط 1.
- محمد الرازي، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1995م.

- محمد أمين البنهاوي، عالم الكتب والقراءة والمكتبات، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة 1984، ص49.
 - محمد موسى الشريف، الطرق الجامعة للقراءة النافعة، دار الأندلس الخضراء، السعودية، 2003م، ط6.
 - مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، الكويت، 1996م.
 - نادية بعبيع، عسر القراءة أو فشل مدرسي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 17، 2002م، قسنطينة.
- الهوامش:

- ¹ رجب البنا، لماذا نقرأ، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص7271، بتصرف يسير.
- ² احمد محمد سعيد السعدي، القراءة الكنز المفقود في حياتنا، دار الرواد للنشر، ص109، بتصرف يسير.
- ³ طارق محمود عباس، مستقبل المكتبات المدرسية والعامة في ظل العولمة الالكترونية، مركز الأصيل، مصر 2003م، ط1، ص19.
- ⁴ محمد ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج6، ط1، ص128.
- ⁵ أحمد بن عبد الرحمن الصويان، وقفات من آفات القراءة، المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، العدد 149، ص92، بتصرف يسير.
- ⁶ نادية بعبيع، عسر القراءة أو فشل مدرسي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 17، 2002م، قسنطينة، ص159، بتصرف يسير.
- ⁷ احمد كامل سليمان، خمسة أسباب لمهارات الاتصال، موسوعة الالكترونية الإدارة والتطوير والتربية، بتصرف يسير.
- ⁸ إبراهيم الفقي، قوة التفكير، مصر، 2008م، ص359.
- ⁹ احمد كامل سليمان، مرجع سابق.
- ¹⁰ عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة مفاهيم واليات، دار القلم، دمشق، 2008م، ط6، ص35.
- ¹¹ احمد كامل سليمان المرجع السابق.
- ¹² مبارك عامريقنه، كيف تستوعب ما تقرأ، أرشيف ملتقى أهل الحديث <http://www.ahlalhdeth.com>، بتصرف يسير.
- ¹³ نفس المرجع السابق.
- ¹⁴ أحمد بن عبد الرحمن الصويان، وقفات من آفات القراءة، المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، العدد 149، ص92، بتصرف يسير.
- ¹⁵ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (160/2) نقلا عن المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، وقفات من آفات القراءة، العدد 149، ص92.
- ¹⁶ القراءة أولاً، ص38. نقلا عن المرجع السابق 92.
- ¹⁷ صيد الخاطر، ص169. نقلا عن المرجع السابق 92، بتصرف يسير.
- ¹⁸ هنري هازليت، التفكير علم وفن، ص133. نقلا عن المرجع السابق 92.
- ¹⁹ طبقات الحنابلة (329/1). نقلا عن المرجع السابق 92.
- ²⁰ تاريخ بغداد (4/ 419). نقلا عن المرجع السابق 92.
- ²¹ مفتاح دار السعادة (181/1). نقلا عن المرجع السابق 92.

- ²² أخرجه البخاري في العلم (145/1) رقم (61)، ومسلم في صفات المنافقين (2146/4) رقم (2811) . نقلا عن المرجع السابق 92.
- ²³ مفتاح دار السعادة (60/1) . نقلا عن المرجع السابق 92.
- ²⁴ مدارج السالكين (431/2). نقلا عن المرجع السابق 92.
- ²⁵ جودت سعيد، اقرأ وربك الأكرم، أيمن نويلاتي، 1988م، ط1، ص 42، بتصرف يسير.
- ²⁶ نفس المرجع السابق، ص 33
- ²⁷ نفس المرجع السابق، ص 76.
- ²⁸ نفس المرجع السابق، ص 77.
- ²⁹ نفس المرجع السابق، ص 79.
- ³⁰ نفس المرجع السابق، ص 254.
- ³¹ عبد الكريم بكار، القراءة المثمرة مفاهيم واليات، مرجع سابق، ص 5251
- ³² احمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، عالم المعرفة، الكويت، 1996م، ص 140. 141، بتصرف يسير.
- ³³ مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، الكويت، 1996م، ص 288. 287، بتصرف يسير
- ³⁴ محمد موسي الشريف، الطرق الجامعة للقراءة النافعة، دار الأندلس الخضراء، السعودية، 2003م، ط6، ص 68
- ³⁵ احمد فلاح، أثر الغرض من القراءة في الاستيعاب القراني، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، المجلد 26 العدد 3 2010م ، ص 378. ، بتصرف يسير.
- ³⁶ نفس المرجع السابق، ص 371
- ³⁷ أرشيف ملتقى أهل الحديث، المرجع السابق، بتصرف يسير.
- ³⁸ محمد أمين البهاوي، عالم الكتب والقراءة والمكتبات، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984 ص 49.
- ³⁹ مبروكة عمر، المعلومات والبحث العلمي والتأهيل والتكوين، عصي للنشر والتوزيع، 1996م، ص 116، بتصرف يسير